الإرهاب الدولي وعلاقته بوسائل الإعلام والاتصال من خلال كتابات نعوم تشومسكي وروجيه غارودي

د.حنان بوزينة د.فريدة كافي
جامعة عنابة

ملخص

سيكون هذا المقال عرضا بسيطا لعلاقة الإرهاب الدولي بوسائل الإعلام والاتصال من وجهة نظر المفكرين نوعام تشومسكي وروجيه غارودي، وانعكاس تلك العلاقة على الوعي الإنساني والأمن العالمي، خاصة بعد تفجيرات 11 سبتمبر 2001 وانطلاق المشروع الأمريكي في تصفية الإرهاب.

الكلمات المفتاحية: الإرهاب الدولي، الإعلام والاتصال، غارودي، تشومسكي، الولايات المتحدة الأمريكية.

Abstract

This article will be a simple presentation of the relationship of international terrorism to the media and communication from the point of view of thinkers Noam Chomsky and Roger Garaudy, and the impact of that relationship on human awareness and global security, especially after the bombings of September 11, 2001 and the launch of the American project in the elimination of terrorism.

Keywords: International Terrorism, Media and Communication, Garaudy, Chomsky, USA.

مقدمة

يعد موضوع الإرهاب من المواضيع المفتوحة التي أثير حولها جدل كبير، نظرا لأن مفهومه ديناميكي تختلف صوره وأشكاله ودوافعه اختلافا زمكانيا، فزمانيا يتباين الإرهاب من حقبة لأخرى حتى ولو كان المكان واحد، ويتطور حسب تطور المجتمع، من صورة بسيطة إلى صورة أكثر تعقيد، أي من ظاهرة القتل السري إلى اختطاف الطائرات، وعليه فلا يمكن دراسة الإرهاب بمعزل عن الظروف التي تهيئها له المجتمع، ولعل أن هذه الظروف الاجتماعية هي التي ساهمت وبشكل كبير في تعدد أشكال الإرهاب من الإرهاب الفردي إلى الإرهاب الجماعي ومن الإرهاب الفكري إلى الإرهاب الدولي، الذي سيكون محور دراستنا، ولسنا هنا بصدد الوقوف عند مفهومه أو دوافعه بل بصدد تحديد علاقته بقطاع الإعلام والاتصال، هذا القطاع الذي قلص لنا العالم في صوت وصورة، من خلال عرض أخبار العالم الاقتصادية والسياسية والفنية ...في موجز إخباري يجعل من الكرة الأرضية نقطة في نهاية السطر.

ومن الفلاسفة والمفكرين الذين كانت لهم إسهامات في دراسة الإرهاب الدولي في علاقته بالإعلام والاتصال، بهدف إنارة العقول ونشر الوعي نذكر إسهامات كل من الفيلسوف والمفكر الأمريكي نوعام تشومسكي والفيلسوف والمحلل السياسي الفرنسي روجيه غارودي، الذين جمعتهما الغاية الإنسانية واختلفا في الوسيلة لبلوغها، فكلى المفكرين كانت لهم دراسات مستفاضة حول الإرهاب وعلاقته بالإعلام والاتصال إذ لا يمكن أن يخلو كتاباتهما من ذلك، والسؤال المطروح هنا: كيف يمكن فهم علاقة الإرهاب الدولي بقطاع الإعلام والاتصال انطلاقا من كتابات نوعام تشومسكي وروجيه غارودي؟ وما هي انعكاسات هذه العلاقة على الوعي الإنساني؟

1 – إشكالية مفهوم الإرهاب ولعبة الدعاية

يعد مصطلح الإرهاب من المصطلحات المفتوحة الدلالة، ففي قاموس الدولة والاقتصاد يعرف الإرهاب على أنه «سياسة القمع الدموي التي تتبعها السلطة الباطشة ضد المعارضة... وتطلق كلمة إرهاب في هذه السنوات على أعمال المقاومة ضد الاحتلال والاستعمار ... والإرهابي هو القائم بأعمال الإرهاب»[1]. والإرهاب حسب ما ورد في الموسوعة السياسية هو "استخدام العنف _غير القانوني_ (أو التهديد به) بأشكاله المختلفة كالاغتيال والتشويه والتعذيب والتخريب والنسف، بغية تحقيق هدف سياسي معين، مثل كسر روح المقاومة والالتزام عند الأفراد وهدم المعنويات عند الهيئات والمؤسسات أو كوسيلة من وسائل الحصول على معلومات أو مال أو بشكل عام استخدام الإكراه لإخضاع طرف مناوئ لمشيئة الجهة الإرهابية[2]. والمعنى هنا واضح فالإرهاب يدل على كل أعمال العنف والرهبة والتخويف بغية تحقيق هدف معين يخدم المصالح المرشحة، فلما كل هذا الشقاء والعناء في محاولة لتحديد مفهوم الإرهاب!؟ هنا يذهب تشومسكي إلى أن الخلل لا يكمن في المصطلح بل في الهيئات الخفية التي تتلاعب بمفهومه حسب ما يخدم مصالحهم، ليقذفوا بهذا المفهوم الزئبقي لوسائل الإعلام والاتصال حتى يخرجوه في ثوب غير ثوبه تحت ما يسمى الدعاية، فيحق الباطل ويبطل الحق، ويرى تشومسكي أن الدعاية هي من الأساليب التي تكبل العقول وتشل الفكر الإنساني حيث «تعمل وسائل الإعلام كمنظومة لتبادل الرسائل والرموز وإيصالها للجمهور. وظيفتها هي تسلية وإعلام الأفراد وتشريبهم القيم والمعتقدات وقواعد السلوك التي ستعمل على دمجهم في الهياكل المؤسسية للمجتمع بأسره. وفي عالم الثروة المركزية والصراعات الكبرى للمصالح الطبقية، فإن تحقيق مثل هذا الدور يتطلب دعاية منظمة».[3] وضمن هذا الإطار يبين كذلك روجيه غارودي كيف تلاعبت الدعاية بالعقول الجماهيرية في ترويجها للأكاذيب خاصة حين تجعل من مصطلح المقاومة من أجل التحرر إرهاب، ومن مصطلح الاستعمار والاحتلال دفاعا وحماية أمنية. حيث يزعمون أن مقتل جندي إسرائيلي في الجزء المحتل من جنوب لبنان، بمعنى أن يقتل من محتل من قبل المقاوم ...عمل إرهابي، أما مذبحة المدنيين في قانا والقصف الإسرائيلي الذي وصل حدود بيروت فهو دفاع مشروع »[4]. وربما هذا هو السبب وراء عدم تقديم مفهوم محدد للإرهاب حتى يتلاعب سادة الفوضى بمعناه وفق أهوائهم الذاتية ومصالحهم الشخصية. ويضيف تشومسكي أن لعبة المصطلح لا تخدم المصالح الأمريكية، فلو أخذنا بتعريف الإرهاب حرفيا على أنه تلك الأعمال المثيرة للرعب والمبيحة للقتل «سيتبين لك وببساطة أن الولايات المتحدة الأمريكية دولة إرهابية رائدة، وأن إدارة ريغان في الحقيقة كانت منخرطة في إرهاب دولي واسع، لذلك كان عليها تغيير التعريف، بالتأكيد، لأنه لم يكن مسموحا الوصول إلى تلك النتيجة.»[5] فحسب التعريف الرسمي للإرهاب، يمكن الاستدلال ثم الاستنتاج بأن الولايات المتحدة دولة إرهابية بامتياز، والأمر الذي منع من ظهور هذه الحقيقة هو أن التعاطي مع هذا الموضوع لم يحتكم إلى المبدأ الأخلاقي الذي اشترطه من أجل دراسة موضوعية لمسألة الإرهاب فالمفهوم جاء انطلاقا من رؤية سلطوية متعصبة «في رأي صناع السياسة في الولايات المتحدة: الإرهاب إرهاب بالمعنى المعياري إذا كنت تقوم به ضدنا ولكن إذا كنا نحن نمارسه ضدك، فهو حميد، إنه تدخل إنساني، وله غاية حميدة، ذاك هو التعريف الذي يستخدم فعليا، ولو كانت

القطاعات المتعلمة أمينة، لكان هذا ما ستقوله، ومن ثم تحل المشكلة برمتها في مسألة التعريف.»[6] فصعوبة تعريف الإرهاب إذن ترجع إلى كون المناقشات المتعلقة به غير محايدة تمت من منظور ضيق للغاية محدد مسبقا. وانطلاقا من هذه المغالطات والمرواغات اللفظية قسم تشومسكي الإعلام إلى نوعين: نوع يمكن أن نطلق عليه وسائل الإعلام العامة، والآخر هو وسائل الإعلام الخاصة الموجهة إلى فئة قليلة من الناس «أولا، وقبل كل شيء، تجد بأن هناك مختلف وسائل الإعلام التي تقوم بمختلف الأشياء مثل التسلية وأفلام هوليوود والأوبرا وحتى معظم المجلات في الدولة (أي الغالبية العظمى منها) فهي موجهة نحو الجماهير العريضة» [7] وغالبا ما تكون وظيفة هذا النوع من الإعلام هو التسلية وتقديم مختلف الأنشطة الثقافية، وأما النوع الآخر من الإعلام فقراءه مميزون، أما اهتماماته فتخص النخبة من المجتمع «إعلام النخبة، الذي يسمى أحيانا بإعلام وضع الأجندات لأنه إعلام ذو موارد ضخمة، حيث يمكنه وضع الإطار الذي يمكن للجميع العمل من خلاله، وجريدة نيويورك تايمز وجريدة CBS تمثل نوعا من هذا الإعلام، جمهور هذا النوع من الإعلام هم الأشخاص ذوي الامتيازات من النخبة، والأشخاص الذين يقرؤون جريدة النيويورك تايمز هم الأشخاص الأثرياء، وهم جزءا مما يسمى أحيانا بالطبقة السياسية حيث ينخرطون بشكل فعلي في النظام السياسي بشكل مستمر».[8]وعليه فالإعلام وفق نظر تشومسكي يفترض وجود طبقتين الطبقة السياسية: والإعلام المخصص لها هو إعلام النخبة، أما الطبقة الأخرى: فهي العامة من الناس، ويمكن أن نطلق عليها طبقة القطيع الذي يقبل كل شيء دون تشكيك، فالذي يليق له برامج التسلية والترفيه، وهم في عمائهم يلهثون وراء القيل والقال[9].

2 – الولايات المتحدة الأمريكية في قفص الاتهام

منذ أحداث 11 سبتمبر 2001 بالولايات المتحدة الأمريكية، والوسائط الإعلامية تروج للمصطلح الإرهاب الإسلامي، حتى بات كل عمل سواء كان تفجير أو هجوم مسلح يوجه أصبع الاتهام إلى المسلمين، ولعل التفجيرات الانتحارية التي حدثت في بريطانيا 2017 والهجوم المسلح على مقر جريدة شارلي إبدو بفرنسا 2015 خير دليل على ذلك، ونحن لا ننكر تلك الهجومات أو الاعتداءات ولكننا نرفض أن يستغل الإسلام من طرف الإعلاميين من اجل تشويه سمعته، فالإرهاب حسب رأي غارودي لا دين له ولا ملة، ولو افترضنا أن للإرهاب دين فلماذا لم نصطدم بمصطلح الإرهاب اليهودي الذي يروج لأسطورة الشعب المختار وارض الميعاد التي راح ضحيتها الملايين من الأبرياء من نساء وأطفال ورجال، وضمن هذا الطرح يبين غارودي أنه ليس «بمقدورنا أن نحدد على وجه الدقة في أي لحظة تاريخية ظهر الرب لشخصية إبراهيم التوراتية ولمنحه الحق الشرعي في الاستيلاء على بلاد كنعان أما من وجهة النظر القانونية، فليس بين أيدينا صك لهذه الهبة يحمل توقيع الله، بل إن لدينا حججا قوية تدعونا للاعتقاد بأن المشهد الوارد في سفر التكوين (12: 1-8 – 13: 14-18 على سبيل المثال) لا يعكس حادثة تاريخية حقيقية، ومن ثم ليس لدولة إسرائيل الحالية أي حق في أنها تدعي لنفسها أنها تجسد لإرادة الله، فلا الأرض مقدسة ولا الشعب وكلاهما ليس جدير بأي ميزة روحانية في هذا العالم»[10]. ولماذا لم يتم الترويج لمصطلح الإرهاب المسيحي بدل مصطلح الحروب الصليبية، التي راح ضحيتها الآلاف من المسلمين، من وراء التحالف بين الكنيسة وملوك أروبا من

اجل ملاحقة المسلمين وإبادتهم والاعتداء على مقدساتهم، وهذا ما سمح للغرب فرصة التوغل في بلاد الشرق الإسلامي من أجل تصفية حساب حضاري أو ربما بتحقيق مطامع سياسية واقتصادية، وقد أدى هذا التحالف الديني والسياسي إلى ترصد المسلمين في أي مكان كانوا وقتلهم عشوائيا دون أي مبرر لذلك وأصبحت هذه التصفيات الدامية في حق المسلمين تعرف بالحرب الصليبية أو الحرب المقدسة خاصة بعد صدور قرار رسمي عن المجمع الديني المنعقد في روما سنة 1099م والذي يعتبر أن التكفير عن الخطايا يمكن أن يتم عبر الانخراط في جيش الله من أجل مقاتلة المسلمين سواء كانوا في الشرق أو الأندلس، وكل هذه الاضطهادات والاعتداءات على المسلمين دفعت غارودي إلى وصم التاريخ الأوروبي بأنه تاريخ دموي حافل بالجرائم والهرطقات المبررة دينيا[11]. وإذا كان للإرهاب وطن فلماذا لم نسمع أو نشاهد مصطلح ا الإرهاب الشرقي في مقابل الإرهاب الغربي الذي تقوده الولايات المتحدة ضد الشعوب المستضعفة، فالتاريخ الغربي حافل بالعمليات الإرهابية «بدءا بإبادة الهنود الحمر في أمريكا منذ القرن السادس عشر، إضافة إلى تجارة العبيد التي كانت ضرورية لاستغلال المناجم وأراضي أمريكا البكر أو الخالية من سكانها بعد إبادتهم وصولا إلى ظاهرة الاستعمار بما تحمله اللفظة من دلالة، أي السيطرة السياسية والعسكرية على إفريقيا وعلى أكبر جزء من أسيا وأمريكا اللاتينية، بضمان الاستثمارات المربحة للغاية سواء في الصناعة أو في التجارة عن فرض الاستعمار لأسعار بخسة على الأيدي العاملة، وعلى عكس ذلك الأسعار المرتفعة للمنتجات المستوردة»[12]. وكل هذا الجرائم التي ذكرنا منها القليل من الكثير ولم يتم الترويج لها من طرف الوسائط الإعلامية، ولعل هذا التستر هو ما يثبت التحالف الأمريكي واللوبي الصهيوني مع الإعلام العالمي الذي شوه التاريخ وحجب نور الوعي الإنساني. «فمنذ أحداث الحادي عشر من سبتمبر 2001 تواضعت الأوساط السياسية الغربية وعاضدها الإعلام على تصنيف الإرهاب وحصره في طائفة من المسلمين دون الالتفات إلى أي إرهاب آخر مهما يكن جنس أصحابه أو معتقدهم... حتى أصبح مصطلح الإرهاب الإسلامي مصطلحا عالميا ... وأضحى عنوانا لموقف عدواني من الإسلام والمسلمين، وتعدى ذلك إلى الجنس العربي مطلقا مما أنتج رهابا وخوفا من كل علاقة بالشرق جغرافيا وبالإسلام دينيا وبالعرب جنسا وأمة»[13]. وعليه فقد نجحت الوسائط الإعلامية من خلال الدعاية في الترويج لمصطلح الإرهاب الإسلامي والتستر عن الإرهاب الدولي الحقيقي الذي تتزعمه الولايات المتحدة الأمريكية تحت شعار القضاء على الإرهاب والقوى الشريرة التي تهدد السلام العالمي، فبعد أحداث 11 سبتمبر استطاعت أمريكا عبر الشاشة الصغيرة أن تقنع الأمريكيين أن « صدام حسين ليس وحشا فحسب وإنما يشكل تهديدا لوجودنا أيضا، وقد نجحت في ذلك إلى حد بعيد، فنصف الأمريكيين يعتقدون بأن صدام حسين كان متورطا شخصيا في هجمات 11 أيلول/سبتمبر 2001»[14]، وكذلك من خلال مبدأ جورج بوش بشأن "عمر الإرهاب" والذي مفاده أنك «إذا آويت إرهابيين فأنت إرهابي، وإذا ساعدت وحرضت إرهابيين فأنت إرهابي، وستعامل كالإرهابي. وتعكس المجموعة وجهة نظر واضحة في الغرب، فيما يتعلق باعتبار الرد الأمريكي –البريطاني ملائما أو على الأصح "معياريا".»[15] استطاعت أمريكا بهذا المبدأ الكاذب أن تعلن الحرب على العراق، وأفغانستان بوصفهما دولتين راعيتين للإرهاب، ويرجع جورج بوش أسباب الهجوم على برجي التجارة 2001 إلى حقد الإرهابيين عليهم بصفتهم شعب متحضر

ومتقدم وناجح، واستيائهم من الحرية والديمقراطية التي تنعم بها و- أ- م، والعولمة التي لم ينهلوا منها شيء وتغاضى عن أن تكون سياسته الإرهابية في الترويع والترهيب والعنف هي السبب الحقيقي وراء تلك التفجيرات، تشومسكي يبرئ العولمة ولا يعتقد أن هناك علاقة بين الهجوم ومشروع العولمة فهؤلاء الإرهابيين «يستمدون الدعم من مخزون المرارة والغضب من سياسات الولايات المتحدة في المنطقة، امتدادا من الغضب في الماضي على السادة الأوروبيين، وما من شك في وجود قضية تتعلق بالسلطة السياسية والقوة.»[16] كما أنه يعود بجذور الصراع إلى زمن السيادة الأوروبية قبل انحسارها وتراجعها، ما يعني أن الأمر متعلق بطبيعة العلاقة بين الغرب المتقدم وباقي دول العالم، على وجه التحديد، الأمر المتعلق بسياسة الولايات المتحدة تجاه دول العالم الثالث، كذلك مسألة السلطة التي تلخص موقفه من الدولة والنظم الشمولية، فهو قد أيّد ثورات الربيع العربي، كونها ثورات كانت ضد الحكومات الاستبدادية المدعومة من الغرب، فبدأت «موجة الغضب في تونس مع الثورة الممولة التي أطاحت الحاكم المستبد المدعوم من الغرب، وامتدت تداعيات هذه الثورة إلى مصر حيث أدت التظاهرات الضخمة إلى إسقاط شرطة الحاكم المستبد العنيفة.»[17] وعليه فإن كان الغرب يسعى حسب زعمه إلى وقف الاعتداءات الإرهابية فيكفيه أن يتوقف على تهيئة الظروف للإرهابيين عن طريق المشاريع الاستغلالية من عدالة اقتصادية ومساواة سياسية ...وغيرها من شعارات الملاك الشيطاني، خاصة وأن «حكومة الولايات المتحدة تحاول الآن استغلال الفرصة لتنفيذ جدول الأعمال الخاص بها: العسكرة، بما في ذلك "الدفاع الصاروخي" والكلمات الشفرية لعسكرة الفضاء، والإقلال من شأن البرامج الاجتماعية الديمقراطية»[18] والمسوّغ الأخلاقي امتثلت إليه حرب الولايات المتحدة على الإرهاب والذي يندرج تحت مسمّى الحرب العادلة هو استخدام القوة لتحقيق السلم في العالم والقضاء على الإرهاب. وتماشيا مع هذا المشروع الأمريكي الذي يتخذ شعار الحرب العادلة من أجل القضاء على الإرهاب يتهم روجيه غارودي الولايات المتحدة بالإرهاب، والتاريخ الذي يدينه وليس هو، حيث كشف غارودي أن «الغرب يقف صفا واحدا تجاه أي قطر عربي أو إسلامي يعزم على النهوض ليعرقل مسيرته أو يحتل أرضه أو يسلط عليه عدوا من حلفائه أو يشتعل نار حرب داخلية بين طوائفه وأحزابه وأقاليمه، فالعراق وباكستان صمما على استخدام الطاقة النووية فشغلوا الأولى مع إيران لتحطيم الدولتين وشغلوا الثانية مع حكومة أفغانستان الموالية لموسكو من ناحية، وفي نزاعات إقليمية داخلية بين السند والبنجاب وغيرهما من النواحي»[19].

3 – ولاء الإعلام والاتصال للإرهاب الدولي وانعكاساته على الوعي الإنساني

لقد أنتجت العلاقة الوطيدة بين الإعلام والاتصال كخادم للإرهاب الدولي والترويج للأكاذيب عن طريق الدعاية الكاذبة -أو الأحسن أن نطلق عليها الدعابة- بشرا دمى صم بكم عمي، وقد اعتمد الإعلاميون لنجاح مخططهم الذي جعل من العقول الجماهيرية عقولا تدور في الفراغ على مجموعة من المبادئ أو الاستراتيجيات والتي يمكن حصرها فيما يلي:

أ – تزييف الثقافة والعزف على أوتار الوعي الإنساني

لقد أدى الترويج الكاذب والدعاية الكاذبة في قطاع الإعلام والاتصال إلى بزوغ ثقافتين كما قسمهما تشومسكي: ثقافة لينة وثقافة قاسية والثقافة اللينة حسبه هي ما يمكن أن يتم تغيير مضمونه حسب مصلحة يراد تحقيقها وهو بهذا ينقص من قيمة العلوم الاجتماعية كونها مرتعا للأهواء البشرية ونتائجها غير دقيقة، وهذا ما يعكس ازدراءه من المعارف التي تقدم عبر وسائل الإعلام «إذ بالإمكان بسهولة تامة التغاضي والمضي قدما نحو الأوهام التي هي أكثر إسعادا لمصالح القوة وللمرء نفسه في الصحافة أو فيما يسمى: الثقافة اللينة أي خارج العلوم القاسية، فإن ذلك من السهولة التامة القيام به، عمليات التحكم والسيطرة ضعيفة جدا، ومن السهولة الشديدة تجاهل التحليل النقدي و الانحراف عنه، في العلوم القاسية فإن ذلك لن يكون صالحا للعمل».[20]. وعليه فمادامت ثقافة الإعلام والاتصال ثقافة لينة زائفة، فعلينا أن نسمع بآذان متيقظة ونرى بعيون يقظة حتى نميز بين الصحيح والخطأ، لأن «صورة العالم التي تُقدَّم لعامة الجمهور أبعد ما تكون عن الحقيقة، وحقيقة الأمر عادة ما يتم دفنها تحت طبقة وراء طبقة من الأكاذيب،».[21]

ب - فلسفة العبث وإلهاء العقل البشري

وهنا يتلاعب الإعلاميون بعقول البشر بطرحهم لبرامج لا تسمن ولا تغني من جوع سوى أنها تضعهم بعيدا عن الواقع، فتلهيهم عنه وتتسلى بهم كدمى عارضي الأزياء، ويرى أحد الكتاب العرب أن الصحافة «مارست لعبة الطغيان من خلال إمداد المواطنين بمعلومات خاطئة لا تمت بصلة إلى حياة الناس ومصائرهم عندما كان بعض الرؤساء العرب يبيعون أوطاننا ومصائرنا للأمريكان كانت صحف عربية رسمية تتحدث عن مشكلة اسماهن في القاهرة ومن قتلها، وعندما كانت سلطات العربية تقتل معارضيها في السجون ودق الجماجم كانت بعض الصحف العربية تحدثنا عن مرض وردة الجزائرية وعندما كانت الثروات تسرق وتهرب إلى سويسرا وبعض البنوك الغربية كانت الصحف تحدثنا عن فوائد الصيام في شهر رمضان»[22] فالصحافة تستخدم فلسفة العبث والتلاعب بالعقول خدمة لمصالح الحكام ولو على حساب الوعي الإنساني: فالإعلام اليوم ومتضاعدا مع الحكام يسعى إلى أن يفرض على الناس فلسفة العبث ويضمن تركيزهم على الأمور السطحية كالاستهلاك اللاهث وراء الموضة ". وأن يتابعوا ما عرف بـ"المتطلبات المتخيلة" أي الحاجات المخترعة، ويتم هذا عبر برامج التسلية والترفيه التي يخطط لها القائمين على صناعة ما يعرف بـ "العلاقات العامة" فكانت مهمتهم هي السيطرة على العقل العام[23]، وقد عرّفها تشومسكي على أنها «صناعة ضخمة، وهم ينفقون ما يقارب البليون القطيع الحائر «فيجب العمل على تشتيتهم وتحويل انتباه لأمور أخرى وجعلهم خارج نطاق دائرة المشاكل، والتأكد من أنهم سيحتفظون بمكانهم في مقاعد المشاهدين للفعل».[24]دولار سنويا، ودائما هم ملتزمون بمبدأ السيطرة على العقل العام.»[25]. ويعتبر تشومسكي أن البرامج الرياضية السلاح الناجح الذي تستخدمه الوسائط الإعلامية من أجل تغييب دور العقل في فهم الواقع بمستجدياته «إن الرياضات الجماهيرية تجعل الناس أكثر سلبية، لأنك لستَ من يلعب، بل من يشاهد، إنها تولد مواقف شوفينية متطرفة تصل أحيانا إلى أقصى الدرجات»[26]، الشيء الذي يجعل من الناس أكثر عدوانية، همّهم

الوحيد هو الفوز على الخصم خاصة عندما تكون هذه الرياضات «مصممة لتأسيس مجتمع مهووس بمقارعة خصومه وهذا شيء خطير للغاية، وفيه الكثير من الآثار الضارة»[27].

ج- تزييف التاريخ وحجب الحقيقة:

يعتبر تزييف التاريخ وفق ما يتماشى مع عقل المتلقي إحدى السبل الناجحة في التلاعب بالوعي الإنساني، فيقع المتلقي ضحية حقائق مزيفة تخدم مصالح سلطوية وعليه فقد اعتبر تشومسكي لعبة تزييف التاريخ نتيجة حتمية سياسية إعلامية؛ من أجل إيجاد مبررات لأعمال السلطة الوحشية تجاه دول أخرى «وهي وسيلة للتغلب على المخاوف المرضية ليبدو الأمر وكأننا حينما نهاجم وندمر الآخرين فنحن نفعل ذلك لحماية والدفاع عن أنفسنا ضد المعتدين والوحوش، وقد كان هناك مجهود هائل منذ حرب فيتنام لإعادة بناء تاريخ الحرب»[28] وهذا من أجل إضفاء المشروعية على أعمال السلطة التي تدرك بأن الشعب سيرفضها، ولذلك فلابد من «إعادة تنظيم هذه الأفكار السيئة ووضع بعض العقلانية، أو على وجه التحديد إدراك أن كل ما نفعله هو نبل وصحيح، فإذا قمنا بمهاجمة جنوب فيتنام بالقنابل فذلك لأننا ندافع عن جنوب فيتنام ضد الفيتناميين الجنوبيين، بما أنه لا يوجد شخص آخر هناك وهو ما وصفته نخبة كينيدي بالدفاع ضد العدوان الداخلي.»[29] وهي إستراتيجية استعملت على مستوى العديد من القضايا التي مثلت جوهر السياسة الأمريكية كالإرهاب الدولي، الشرق الأوسط، نشر الديمقراطية أمريكا الوسطى، ومنه، استنتج تشومسكي أن «صورة العالم التي تُقدَّم لعامة الجمهور أبعد ما تكون عن الحقيقة، وحقيقة الأمر عادة ما يتم دفنها تحت طبقة وراء طبقة من الأكاذيب، وكان هذا نجاحا مبهرا، حيث إنه منع التهديد الذي تمثله الديمقراطية، وتم إنجازه في إطار من الحرية وهو أمر غاية في التشويق».[30].ويعد هذا أبرز مثال على تطاول الإعلام والسياسيين على العقل البشري وحصره في سيناريو كاذب وكأن العالم عبارة عن فيلم أنتجه الساسة وأخرجه الإعلاميون. من أجل السيطرة على العقل الطفولي للجماهير والسهر على جعلهم جاهلين بما يدور حولهم.

هـ - اللجوء إلى العاطفة ودفن التفكير النقدي:

ومن بين أهم الوسائل التي يستخدمها الإعلاميون في ضمان الولاء لبرامجهم المزيفة والخادمة للسلطات نذكر التلاعب بعاطفة المتلقي، عن طريق لعبة الصور الزائفة والإعلانات المثيرة للبكاء في الظاهر والمميتة بالضحك في حقيقتها، ولعل أبرز مثال راهن هو التعاطف الجماهيري مع معطوبي الهجوم المسلح على جريدة شارلي إبدو مع العلم أن تلك الحادثة لا تعادل شيء مقارنة بما يحدث في فلسطين اليوم، لماذا؟ لأن المحتل يمثل الابن الشرعي للولايات المتحدة الأمريكية، فنحن حقا عبيدا للشاشة الصغيرة والصحف المزيفة التي تلاعبت ولا تزال تتلاعب بوعينا وعقولنا، كما قد نجحت هذه الإستراتيجية الإعلامية حسب ما يراه تشومسكي في القضاء على التفكير النقدي، و هو من أهم الأهداف التي تسعى الدعاية إلى تحقيقها؛ فعادة ما يلجأ القائمين على الدعاية إلى التأثير على عواطف الناس، لأن نقص التفكير العقلاني النقدي يفسح المجال أمام التفسيرات الذاتية من جهة، كما يعزز تَغَوُّل العاطفة على التفكير من جهة أخرى، والدعاية الأمريكية رائدة في هذا المجال فالعديد من المبادئ يتم تلقيها إلى الجمهور مقابل كسب التفافه حول السلطة هي «مبادئ تافهة وخارجة من المعنى مثل الهوية الأمريكية، مَن بإمكانه أن يقف ضد هذا؟ أو ضد التناغم؟

مَن بإمكانه الوقوف ضد ذلك؟ أو كما حدث في حرب الخليج الثانية، أيدوا قواتنا من بإمكانه أن يكون ضد ذلك؟»[31] وعندما يتم تجييش عواطف الناس، خاصة إذا تعلق الأمر بالوطنية والدفاع عن أراضي الوطن، فلا أحد يمكنه أن يقف ضد هذه المبادئ، لكن «إذا سألتَ شخص ما عما إذا كنت تؤيد الناس في ولاية أيوا؟ هل تجيب بنعم أؤيدهم أو لا أؤيدهم؟ هو حتى ليس بسؤال، لأنه لا يعني شيئا، وهذا بالأساس هدف شعارات حملات العلاقات العامة مثل أيدوا قواتنا وهو أنه لا يجب أن تعني شيء».[32]. بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر 2001 استغلت هذه الإستراتيجية لكسب تأييد الشعب الأمريكي لحرب الولايات المتحدة ضد الإرهاب، وقال الرئيس الأمريكي جورج بوش سؤاله الشهير: «لماذا يكرهوننا مع أننا طيبون؟»[33]، وكان هذا كاف لتعاطف الشعب الأمريكي مع إدارة بوش من جهة، وتجييش تعاطف الشعب الأمريكي مع حكومته.

و - غسيل المخ وولادة الإنسان الآلي:

وتعتبر إستراتيجية غسيل المخ من إحدى أخطر الاستراتيجيات لأنها تروج لحقائق وحقوق زائفة، إنها استعمار للعقول بحيث تفرض على العقول الجماهيرية معلومات معينة تخدم جهات القوى العظمى، فتقوم بإزالة المعلومات الحقيقية لتثبت المزيفة، فالإعلاميون أصبحوا يتعاملون مع الجماهير مثلما ما يتعاملون مع جهاز الكمبيوتر عن طريق مسح المعلومات الحقيقية ولصق الكاذبة، باستخدام قرص "**الاستعباد الفكري**"؛ فالأقوى يفرض هيمنته على الثقافة، فتصبح عندئذ الثقافة السائدة هي ثقافة الأقوى «خذ الديمقراطية مثلا، معناها إشراك الشعب في إدارة شؤونه، ولكن عند أيديولوجية الأقوى تعني الديمقراطية نظاما تتخذ فيه صفوة رجال الأعمال القرارات، ويشاهد عامة الناس ذلك بدلا من أن يشاركوا فيه كما شرح والتر ليبمان»[34] وبهذا تكون وسائل الإعلام قد ساهمت مساهمة كبيرة في تحقيق هذه الإستراتيجية فـ«سواء كانت وسائل الإعلام ليبرالية أو محافظة، فإنها مؤسسات كبرى، تبيع منتجاتها للسوق، ما السوق هنا؟ ومن المشتري؟ وما المنتج؟ السوق هنا هي وسيلة الإعلام، والمنتج هنا هم المشاهدون، وعند الصفوة من وسائل الإعلام -الذي شكل النموذج الذي يتبعه الآخرون- المنتج هو أيضا هو الصفوة من المشاهدون»[35] وبين المنتج والبائع تضيع الحقيقة من منطلق أن وسائل الإعلام أصبح يعتمد عليها كجزء كبير من النظام المعرفي. وقد ضرب روجيه غارودي مثالا على الحشو الإعلامي ولازال أثاره إلى يومنا هذا وهو الحدث الذي صاغه السياسيون وروجته الوسائط الإعلامية، ومفاده أنه «جرى تحديد الهدف في مؤتمر شرم الشيخ عام 1996م وكانت الحكومة الإسرائيلية هي التي حددت الهدف: محاربة الإرهاب والتدخل الإنساني، هذان الادعاءان الجديدان المتكاملان للاستعمار الجديد وحدد شمعون بيريز ودون أن يمتلك أدنى دليل، إيران بأنها مركز الإرهاب الدولي، ومن المتفق عليه أن كلمة الإرهاب شملت كل أشكال مقاومة الشعوب دفاعا عن استقلالها، مع استبعاد كل أشكال الإرهاب التي تمارسها الولايات المتحدة التي تهدد استقلال هذه الشعوب.

خاتمة

من خلال العرض يتضح لنا أن مشكلة الإرهاب الدولي تعد من إحدى المشكلات الصعب الوقوف عندها ومس جميع جوانبها، خاصة إذا كانت لها علاقة بالوسائط الإعلامية، هذه الأخيرة التي لعبت دورا فعالا في الترويج لحقائق مزيفة عن طريق الدعاية أو الدعابة الكاذبة، وهذا ما وقفنا عنده من خلال كتابات كل من

نوعام تشومسكي وروجيه غارودي، الذين شككا في مصداقية الوسائل الإعلامية خاصة بعد أحداث 11 سبتمبر 2001 وشروع الولايات المتحدة الأمريكية برئاسة جورج بوش في مشروعها الخيالي الهادف إلى تصفية الإرهاب تحت شعار الحرب العادلة، التي تقدس العنف وتبيح القتل العشوائي، فما ذنب الأطفال والأبرياء من هذا المشروع الذي يهدف حقا إلى استنزاف الثروات! هل يمكن اعتبار الجرائم التي ارتكبت في حق السكان العراقيين مثلا حربا عادلة لتصفية الإرهاب؟ هذا ما لا يقبله العقل البشري السليم، ثم يأتي الإعلام ليصوغ الخبر وكأن بوش هو المخلص أو المهدي المنتظر الذي سينشر السلام العالمي ويقضي على قوى الشر! هذا ما حاول تشومسكي وغارودي إيصاله من خلال كتاباتهم المستفيضة حول علاقة الإرهاب الدولي بالوسائط الإعلامية، فإما أن يتخلص الإعلاميون من الرقابة السياسية وإما أن نتخلى نحن عن ولائنا المطلق للإعلاميين، ونختمها بعبارة غارودي الشهيرة «فإما أن نضيع كلنا معا وإما أن ننقذ أنفسنا كلنا معا»[36].

الهوامش

[1] هادي العلوي، قاموس الدولة والاقتصاد، دار الكنوز الأدبية د م ن، ط1، 1997، ص 42.

[2] عبد الوهاب الكيالي: موسوعة السياسة، ج1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ص 153.

[3] . Edward S. Herman and Noam Chomsky : Manufacturing Consent, The political Economy of The Mass Media, Vintage Books, London, 1994, p 1.

[4] روجيه غارودي، الولايات المتحدة طليعة الانحطاط، كيف نحضر للقرن الحادي والعشرين، ترجمة مروان الحموي، دار الكتاب للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة دمشق، سوريا، ط1، 1998. ص 3- 4.

[5] -نعوم تشومسكي، جلبير الأشقر: السلطان الخطير، السياسة الخارجية الأمريكية، في الشرق الأوسط، دار الساقي، بيروت، لبنان، ط1، 2007. ص18.

[6]- المصدر نفسه، ص20.

[7]- Noam Chomsky : what makes Mainstream Media Mainstream, the Anarchist Library, 1997, P2.

[8] - Ibid, P2.

[9]- نعوم تشومسكي: ماذا يرد العم سام؟ !!، تعريب عادل المعلم، دار الشروق، القاهرة، ط1، 1998، ص58، (بتصرف).

[10] روجيه غارودي، الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية ترجمة محمد هاشم تقديم محمد حسنين هيكل، دار الشروق القاهرة، ط4 2002، ص 50 .

[11] عبد الرزاق بن حبيب الحمامي، الإرهاب الغربي بين التاريخ والواقع قراءة في أطروحة غارودي، ص 340، 342، 344، (بتصرف).

[12] عبد الرزاق بن حبيب الحمامي، الإرهاب الغربي بين التاريخ والواقع قراءة في أطروحة غارودي ص 345.

[13] المرجع نفسه، ص 330- 331.

[14]- نعوم تشومسكي: طموحات امبريالية، ترجمة: عمر الأيوبي، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، دط، 2006. ص10.

[15]- المصدر نفسه، ص48.

[16]- نعوم تشومسكي: 9/11، تعريب: إبراهيم محمد إبراهيم، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، ط1، 2002.ص12.

[17]- نعوم تشومسكي: صناعة المستقبل، الاحتلال، التدخلات الإمبراطورية والمقاومة، ترجمة: Lingo Office s .a.r.l، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 2013. ص233.

[18]- نعوم تشومسكي: 9/11، ص 26.

[19] عدنان سعد الدين، حوار مع الأستاذ روجيه غارودي، دار التضامن، القاهرة، ط1، 1988، ص 65- 66.

[20]- نعوم تشومسكي: ضبط الرعاع، حوارات أجراها معه: ديفيد بارساميان، ترجمة: هيثم علي حجازي، الأهلية للنشر والتوزيع، المملكة الأردنية الهاشمية، عمان، ط1، 1997. ص145.

[21]- نعوم تشومسكي: السيطرة على الإعلام، الإنجازات الهائلة للبروباغاندا، ترجمة: أميمة عبد اللطيف، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، ط 2، 2005. ص20.

[22] يحي ابو زكريا، الارهاب وليد النص القرآني او الحكم الطغياني، حقوق النشر محفوظة لـ www.nashiri.net ، نشر الكترونيا في نوفمبر 2003، ص 20.

[23] نعوم تشومسكي: الدعاية والرأي العام، حاوره ديفيد بارساميان، تعريب: ابراهيم يحي الشهابي، مكتبة العبيكان، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط1، 2004.ص 257، (بتصرف).

[24]- نعوم تشومسكي: السيطرة على الإعلام، الإنجازات الهائلة للبروباغاندا، ص12.

[25]- نعوم تشومسكي: السيطرة على الإعلام، الإنجازات الهائلة للبروباغاندا، ص13.

[26]- نعوم تشومسكي: أسرار وأكاذيب وديمقراطية: ترجمة سركون برخو، دار الينابيع، سوريا، ط1، 2007.ص67.

[27]- المصدر نفسه، ص68.

[28]- المصدر نفسه، ص19.

[29]- المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

[30]- نعوم تشومسكي: السيطرة على الإعلام، الإنجازات الهائلة للبروباغاندا، ص20.

[31] - المصدر نفسه، ص 14-15.

[32] - نعوم تشومسكي: السيطرة على الإعلام، الإنجازات الهائلة للبروباغاندا، ص15.

[33] - نعوم تشومسكي: القوة والإرهاب، جذورهما في عمق الثقافة الأمريكية، ترجمة: إبراهيم يحي الشهابي، دار الفكر، دمشق، ط1، 2003. ص107.

[34]- نعوم تشومسكي: ماذا يرد العم سام؟ !!، ص55.

[35]- المصدر نفسه، ص57.

[36] روجيه غارودي، وعود الإسلام، ترجمة ذوقان قرقوط، دار الشرقي، بيروت مكتبة مدبولي، القاهرة، ط2، 1980.ص 55.

قائمة المراجع

1. روجيه غارودي، الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية ترجمة محمد هاشم تقديم محمد حسنين هيكل، دار الشروق القاهرة، ط4 2002

2. روجيه غارودي، الولايات المتحدة طليعة الانحطاط، كيف نحضر للقرن الحادي والعشرين، ترجمة مروان الحموي، دار الكتاب للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة دمشق، سوريا، ط1، 1998.

3. روجيه غارودي، وعود الإسلام، ترجمة ذوقان قرقوط، دار الشرقي، بيروت مكتبة مدبولي، القاهرة، ط2، 1980.

4. عبد الرزاق بن حبيب الحمامي، الإرهاب الغربي بين التاريخ والواقع قراءة في أطروحة غارودي.

5. عبد الوهاب الكيالي: موسوعة السياسة، ج1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، دس.

6. عدنان سعد الدين، حوار مع الأستاذ روجيه غارودي، دار التضامن، القاهرة، ط1، 1988.

7. نعوم تشومسكي: 9/11، تعريب: إبراهيم محمد إبراهيم، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، ط1، 2002.ص12.
8. نعوم تشومسكي: أسرار وأكاذيب وديمقراطية أسرار وأكاذيب وديمقراطية: ترجمة سركون برخو، دار الينابيع، سوريا، ط1، 2007.
9. نعوم تشومسكي: الدعاية والرأي العام، حاوره ديفيد بارساميان، تعريب: ابراهيم يحي الشهابي، مكتبة العبيكان، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط1، 2004.
10. نعوم تشومسكي: الدول المارقة، استخدام القوة في الشؤون العالمية، إساءة استخدام القوة في الشؤون العالمية، تعريب أسامة إسبر، مكتبة العبيكان، المملكة العربية السعودية، ط1، 2004.
11. نعوم تشومسكي: السيطرة على الإعلام، الإنجازات الهائلة للبروباغاندا، ترجمة: أميمة عبد اللطيف، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، ط 2، 2005.
12. نعوم تشومسكي: القوة والإرهاب، جذورهما في عمق الثقافة الأمريكية، ترجمة: إبراهيم يحي الشهابي، دار الفكر، دمشق، ط1، 2003.
13. نعوم تشومسكي: صناعة المستقبل، الاحتلال، التدخلات الإمبراطورية والمقاومة ترجمة: Lingo Office s .a.r.l، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 2013.
14. نعوم تشومسكي: ضبط الرعاع، حوارات أجراها معه: ديفيد بارساميان، ترجمة: هيثم علي حجازي، الأهلية للنشر والتوزيع، المملكة الأردنية الهاشمية، عمان، ط1، 1997.
15. نعوم تشومسكي: طموحات امبريالية، ترجمة: عمر الايوبي، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، دط، 2006.
16. نعوم تشومسكي: ماذا يرد العم سام؟ !!، تعريب عادل المعلم، دار الشروق، القاهرة، ط1، 1998،
17. نعوم تشومسكي، جلبير الأشقر: السلطان الخطير، السياسة الخارجية الأمريكية في الشرق الأوسط، دار الساقي، بيروت، لبنان، ط1، 2007.
18. هادي العلوي، قاموس الدولة والاقتصاد، دار الكنوز الأدبية د م ن، ط1، 1997.
19. يحي ابو زكريا، الارهاب وليد النص القرآني او الحكم الطغياني، حقوق النشر محفوظة لـ www.nashiri.net ، نشر الكترونيا في نوفمبر 2003.

ب/ قائمة المراجع باللغة الانجليزية

1. -Edward S. Herman and Noam Chomsky : Manufacturing Consent, The political Economy of The Mass Media, Vintage Books, London, 1994
2. Noam Chomsky : what makes Mainstream Media Mainstream, the Anarchist Library, 1997